ISSN:2583-2379
المجلد الرابع - العدد الأول مجلة البخاري للعربية والدراسات الإسلامية يناير – يونيو ٢٠٢٤

أهمّ مقوّمات السلوك القيادي في ضوء الإسلام

THE MOST IMPORTANT ELEMENTS OF LEADERSHIP BEHAVIOUR IN THE LIGHT OF ISLAM

Dr. A.M. Ali Ibrahim Jamali,
Assistant Professor, PG & Research Department of Arabic,
Jamal Mohamed College, Tiruchirappalli, Tamilnadu, India.
Email: aliibrahimjamali@gmail.com

الدكتور علي إبراهيم الجمالي،
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية للماجستير والبحوث،
كلية جمال محمد، تروشي، الهند.

Mr. A. Mohamed Ismail,
Assistant Professor, PG & Research Department of Arabic,
Jamal Mohamed College, Tiruchirappalli, Tamilnadu, India.
Email: avoorismail@gmail.com

محمد إسماعيل الحسني،
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية للماجستير والبحوث،
كلية جمال محمد، تروشي، الهند.

Mr. M. Mohamed Inamul Hasan,
Assistant Professor, PG & Research Department of Arabic,
Jamal Mohamed College, Tiruchirappalli, Tamilnadu, India.
Email: buhariqasimi@gmail.com

محمد إنعام الحسن البخاري،
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية للماجستير والبحوث،
كلية جمال محمد، تروشي، الهند.

Abstract

Leadership behavior is an important concept in Islam as Islam encourages the development of positive behaviors that contribute to achieving effective and positive leadership. These leadership components, requirements and the conditions that must be met in an individual, which make him qualified for leadership, and give him the authority to lead, by referring to studies and writings specialized in the field of leadership in Western administrative thought.

This research will determine the behavioral leadership components of a leader in Islamic thought, which are those components that give the leader the ability to achieve the goals set for him and his group efficiently and effectively, and also give him the ability to confront changes or developments in the environmental conditions surrounding him and then ensure that he continues to lead.

Keywords: Leadership behavior - Discussion - Good role models - Administrative Efficiency - Responsibility

ملخص البحث:

إن السلوك القيادي هو مفهوم مهمّ في الإسلام، حيث يشجّع الإسلام على تطوير سلوكيات إيجابية تساهم في تحقيق القيادة الفعّالة والإيجابية. وقد توجد تلك المقوّمات والاشتراطات القياديّة والشروط الواجب توافرها في الفرد، ما يجعله مؤهّلا للقيادة، ويكسبه الصلاحيّة للقيادة، وذلك بالرجوع إلى دراسات وكتابات متخصّصة في دراسة القيادة في الفكر الإداري الغربي..

وسيتمّ في هذا البحث تحديد المقوّمات القياديّة السلوكيّة للقائد في الفكر الإسلامي، وهي تلك المقوّمات التي تكسب القائد القدرة على تحقيق الأهداف الموضوعة له ولجماعته بكفاءة وفعّالية، كما تكسبه القدرة على مواجهة التغيرات أو التطوّرات في الظّروف البيئية المحيطة به، ومن ثم تكفل له الاستمرار في القيادة.

الكلمات المفتاحية: السلوك القيادي – الشورى – القدوة الحسنة – الكفاءة الإدارية – تحمل المسؤولية

المقدمة:

إن دين الإسلام مشتمل على مبادئ إنسانيّة إضافة للاعتراف بالقيم الإيجابيّة في المجتمع العربي الذي سادت فيه الذاتية والفردية والمؤسسية ومفهوم الرجل العظيم ويبدو واضحاً أثر الفكر الإسلامي في التركيز المبادئ الأخلاقية كمثل القدوة الحسنة، العدل، الشورى، تحمل المسؤولية، الطاعة، النصح للأتباع، إشباع حاجات المسلمين، التفويض، الوسطية وغيرها من الأمور الحسنة.

وإن السلوك القيادي هو مفهوم مهم في الإسلام، حيث يشجع الإسلام على تطوير سلوكيات إيجابية تساهم في تحقيق القيادة الفعالة والإيجابية. وقد توجد المقوّمات والاشتراطات القياديّة والشروط الواجب توافرها في الفرد، ما يجعله مؤهّلا للقيادة، ويكسبه الصلاحيّة للقيادة، وذلك بالرجوع إلى دراسات وكتابات متخصّصة في دراسة القيادة في الفكر الإداري الغربي.

وسيتمّ في هذا البحث تحديد المقوّمات القياديّة السلوكيّة للقائد في الفكر الإسلامي، وهي تلك المقوّمات التي تكسب القائد القدرة على تحقيق الأهداف الموضوعة له ولجماعته بكفاءة وفعّالية، كما تكسبه القدرة على مواجهة التغيرات أو التطوّرات في الظّروف البيئية المحيطة به، ومن ثم تكفل له الاستمرار في القيادة.

ومن خلال التحاكم إلى هدي القرآن الكريم وسنّة الرسول ﷺ وسيرته، فقد ظهرت بعض المحاولات من علماء الإدارة في العالم العربي والإسلامي لرصد أهمّ المقوّمات السلوكية القيادية الإسلاميّة، والصفات التي تتميّز بها القيادة في الإدارة الإسلامية، ومن أهمّ تلك المقوّمات:

١. الشورى

٢. القدوة الحسنة

٣. الفطنة والكياسة

٤. الكفاءة الإدارية.

وفيما يلي تفصيل على كل من هذه المقوّمات:

١. الشورى:

تُعدّ الشورى في الإسلام ركنا جوهريا يرتكز عليه نظام الدولة الإسلامية، والشورى في اللغة اسم من المشورة، والمشاورة: استخراج الرأي، يقال شاورته في الأمر، استشرته، وطلبت منه المشورة. وبه مأخوذة من قول العرب: شار العسل: استخرجه وجناه من مواضعه، وشار الدابة: عرضها للبيع. كأنه من الشور، وهو عرض الشيء وإظهاره.

قال الراغب الأصفهاني رضي الله عنه: "هي استخراج الرأي، بمراجعة البعض إلى البعض، من قولهم: شرت العسل إذا أخذته من موضعه واستخرجته منه". ويقول ابن العربي: هي الاجتماع على الأمر، ليستشير كلّ واحد منهم صاحبه، ويستخرج ما عنده. وقال الطاهر بن عاشور، "هي أنّ قاصد عمل يطلب ممّن يظنّ فيه صواب الرأي والتدبير أن يشير عليه بما يراه في حصول الفائدة المرجوة من عمله". وعرّفها الدكتور جابر الأنصاري من المعاصرين – بقوله: "هي استطلاع رأي الأمّة، أو من ينوب عنها في الأمور العامة المتعلّقة بها."

فالتعريفات المذكورة أعلاه تواطأت على معنى واحد للشورى، يفيد جميعها بأنها قائمة على تبادل الآراء، للتوصّل إلى الرأي الأصوب. أما في مجال الرأي والفكر فإن معنى كلمة شورى "هو الاجتماع على الأمر"، أي أنّها عرض المعضلة أو المعضلات في أمور الدنيا والدين على الذين عرفوا بالتجربة العمليّة والرأي السديد، وسماع الآراء المختلفة، واستخلاص الحلّ المناسب لتلك المعضلة من تلك الآراء المعروفة، بما من شأنه أن يحقّق مصلحة المجتمع الإسلامي بما يتّفق وقواعد الشريعة الإسلاميّة.

وقد جاء أمر الله تعالى لعباده بالشورى في كثير من الآيات القرآنية، فقال "﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾" (آل عمران: ١٥٩) حيث توجب هذه الآية الشورى على الرسول ﷺ، وهو المبعوث رحمة للعالمين من قبل الحكيم العليم، و المؤيد بالوحي، فإذا كان الله سبحانه قد أوجب الشورى على خاتم رسله ووجوبها متحتّم علينا من باب أولى، وأجدر بنا التزامها لإصلاح أمرنا كلّه اقتداء بالرسول ﷺ وسيرا على منهاجه.

وإذا كانت الشورى بمثل هذه الأهميّة بالنسبة لعامّة الناس، فإنّ أهميّتها تتضاعف بالنسبة للقائد، وهي تعدّ بحق إحدى أهمّ المقومات السلوكية الواجب توافرها فيه، وذلك نظرا لما لها من آثار إيجابية مادية ومعنوية على القائد ومرؤوسيه ولإسهامها في تحقيق الأهداف بكفاءة وفعّالية

وقد حرص الإسلام على بيان أهميّة الشورى وإبراز ضرورتها للقيادة الإدارية، والشاهد على ذلك من القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية ما يأتي الآيات القرآنية الدالّة على حتمية الشورى:

١. ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

٢. ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (النمل: ٣٢)

٣. ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى: ٣٨).

سيرة الرسول ﷺ والسنة النبوية الدالة على الشورى

١. قوله ﷺ "المستشار مؤتمن" (سنن الترمذي: ٢٨٢٢).

2. واستشار الرسول ﷺ أصحابه في أمر القتال في غزوة بدر حين بلغه خروج قريش ليمنعوا عيرهم، فأشار أصحابه بالقتال وقال له المقداد ابن الأسود" :لا نقول كما قال قوم موسى"﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ "(المائدة: ٢٤) ، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك) "صحيح البخاري: ٣٩٥٢(

٣. واستشار ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في أمر أسارى بدر، قائلا: "ما ترون في هؤلاء الأسارى؟" (صحيح مسلم: ١٧٦٣).

٤. ويوم أحد شاور النبي ﷺ أصحابه في المقام والخروج، فرأوا له الخروج، فلما لبس لأمته وعزم قالوا: "أقم، فلم يمل إليهم بعد العزم وقال: "لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله" (صحيح البخاري: ٧٣٦٩).

٥. وفي الحديبية أخبر رسول الله ﷺ أن قريشا جمعوا له جموعا، وقد جمعوا له الأحابيش وأنّهم مقاتلو وصادّوه عن البيت ومانعوه، فقال ﷺ لأصحابه: "أشيروا أيها الناس عليّ"، فأشار عليه أبو بكر رضي الله عنه بالمضيّ إلى البيت فمن صدّه حاربه، فقال ﷺ "امضوا على اسم الله"". (صحيح البخاري: ٤١٧٨)

٦. وشاور ﷺ عليا وأسامة رضي الله عنهما فيما رمى به أهل الإفك عائشة رضي الله عنها فسمع منهما، حتى نزل القرآن، فجلد الرامين (صحيح البخاري: ٢٦٦١)

إن استشارة الرسول ﷺ للمسلمين هو احترام آرائهم ومشاركتهم في إبداء الرأي فيما لم ينزل به وحي، وعدوله عن رأيه إنّما هو ذروة التزام الشورى وتبادل الرأي والمشاركة الحقيقية في الإرادة، هذا فضلا عن أهميّتها وضرورتها بوصفها مقوما من أهمّ المقوّمات السلوكية الواجب توافرها في القائد الرشيد.

ويجدر أن يُشار هنا إلى أن الشورى سلاح ذو حدين، فإذا ما أحسن القائد استخدامها وحرص على توفير بيئة العمل المناسبة لها لاسيّما من حيث العلاقة الجيّدة بين القائد وكلّ من رؤسائه ومرؤسيه – كانت من أكثر أدوات القائد فعّالية، أما إذا أساء القائد استخدامها، فأهمل توفير البيئة المناسبة لها، ولم يحرص على توفير اشتراطها، صارت الشورى مصدرا للزيف والتضليل، وأصبح القائد أقلّ فعالية، وكانت قراراته أبعد ما تكون عن الموضوعية، ومن ثم "فإذا كان التشريع الإسلامي قد قرّر مبدأ الشورى وجعله نظاما عامّا لتسير عليه الأمة في تنظيم أمورها وتدبير وتصريف لجميع شؤونها، وليكون وقاية من أخطاء تكون مفتاحا لكثير من البشر.

تلك هي الشورى في الإسلام، وتلك هي مكانتها باعتبارها من أهمّ المقوّمات السلوكية الواجب توافرها في القائد، ويتقارب معها إلى حدّ كبير مبدأ المشاركة في اتّخاذ القرارات الذي ينادي به أصحاب النظريات في الفكر الإسلامي المعاصر.

٢. القدوة الحسنة:

وينضوي تحت مفهوم "القدوة" الالتزام بالسلوك القويم ليكون مثلا للآخرين في الصدق والصبر والأمانة والتضحية والمطابقة بين القول والفعل وغيرها من المكارم التي يجب أن يتحلّى بها القائد القدوة، وقد كان الرسول ﷺ إذا بعث أميرا على سريّة أو جيش أوصاه في خاصّة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا، أي: أنه كان يوصي الراعي – قبل الرعيّة – أن يكون أسوة حسنة في سلوكه للآخرين، لأن للقائد أثرا كبيرا في المجتمع. فالقائد القدوة صادق لا يكذب، والصدق من أفضل الخصال، والكذب ليس من خصال المؤمنين، لقوله تعالى"﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾" (النحل: ١٠٥). ولقوله"﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾"(التوبة: ١١٩).

والصدق عاقبته الجنّة بينما عاقبة الكذب النار كما قال النبي ﷺ: "إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا" (البخاري: ٦٠٩٤). وإذا كثر كذب الإنسان انعدمت الثقة به، والقيادة في حقيقتها هي عبارة عن ثقة مرؤوس برئيسه. .

والقائد القدوة أمين ومستقيم، ومن متطلّباته الأمانة والعدل والإنصاف ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب والنصح للرعيّة والمرؤوسين والبعد عن العصبية والأهواء والغش كما قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

وقال ﷺ "مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ إِلاَّ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ" وقال أيضا: "مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ" (البخاري: ٧١٥٠). والقائد القدوة هو من يقرن القول بالفعل ويلزم نفسه بما يلزم به مرؤسيه، فقال تعالى على لسان شعيب عليه السلام ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨). فإذا فعل القائد ذلك، بادر المرؤوسون إلى الاقتداء به، وكانوا لأوامره ونواهيه أطوع ولكلامه أسمع وازدادت مكانته لديهم وتأثيره فيهم.

وليحذر القائد أن يتهاون في التطبيق والسلوك والاستقامة لئلاّ يغضب الله فلا يوفق في عمله، فإنّ المتقين إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون، وما كان لله دام واتصل، ومن يتق الله يجعل له فرقانا، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا. والقائد القدوة هو الزاهد المتواضع الذي لا يميّز نفسه عن الآخرين ولا يألو جهدا في نصحهم وتوجيههم: "فحينما سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يدلّوه على رجل يستعمله على عمل، بيّن الصفات المطلوبة فيه بأنّه إذا كان في القوم كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم، فدلوه على رجل فولاه ذلك العمل" .

وقد حرصت الشريعة الإسلاميّة على تأكيد أهميّة القدوة باعتبارها مقوّما من أهمّ المقومات القيادية الواجب أن يتصف بها القائد في سلوكه وتصرّفاته، ويتّضح ذلك من خلال التحاكم إلى نصوص آيات القرآن الكريم والاسترشاد بهدي الرسول العظيم وسنّته المطهّرة، منها ما يأتي الآيات القرآنية الدالّة على القدوة الحسنة:

١ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٢٤) ﴿.

٢. قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ٣١﴾

٣. ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنعام: ٩٠)

٤. ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٢١) .

٥ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (سورة الزخرف: ٥٩) ﴾.

٦ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (سورة الممتحنة: ٤) ﴾.

الأحاديث والسيرة النبوية المؤشرة إلى القدوة الحسنة:

١. قال رسول الله ﷺ: "مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ" (صحيح مسلم: ١٠١٧).

٢. سُئلت عائشةُ رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله تعني خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة" (البخاري: ٦٧٦).

٣. قال الرسول ﷺ "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً" (صحيح البخاري: ٦١٠١).

ولقد اقتدى برسول الله ﷺ خلفائه الراشدون – فكانوا قدوة حسنة للمسلمين، فاستطاعوا بذلك مساءلة الناس ومحاسبتهم ومعاقبتهم من غير أن يلومهم لائم، بل كان الناس يعترفون لهم بالسبق والفضل ويطيعونهم في طاعة الله.

٣.الفطنة والكياسة:

يواجه القائد مواقف عارضة وليس أمامه إلا قواعد وتوجهات عامّة يمكن أن تكون مرجعا له، وفي مثل هذه المواقف وخاصّة تحت ضغط الظّروف وعنصر الزمن يتحتّم على القائد أن يكون فطنا وأن يكون متعقّلا وموضوعيّا، أما إذا غلّب الأهواء والرّغبات فإنّ مآل المجتمع – برمّته جماعات وأفرادا – إلى التناحر والتنافر والاضطراب، وسينعكس ذلك في النهاية على مدى تقدّم ورخاء ذلك المجتمع ومدى طمأنينة وسعادة جماعاته وأفراده.

إن لمعة من ذكاء نافذ تكشف ظلمات وحجباً من الغيوم، وهذا لا يعني أن القائد يجب أن يتميز بذكاء خارق فكثير ممن قادوا الأمم في نهضتها كانوا على درجة متوسطة من الذكاء، ولكنهم كانوا من النوع القلق المتطلع دائماً إلى المستقبل، وكانوا من الذين يراقبون بدقة تغير الظروف والأحوال إن الحياة إذا خلت من مثل أعلى، إذا خلت من الخير ومن رجال قدوة عندئذ يتيه المال والجاه وليس فيها للناس عزاء وسلوان.

والقائد المتعقل هو الذي يستطيع بتصرّفاته الحكيمة وسلوكه المستقيم أن يكسب محبّة أصدقائه وأتباعه، وكذلك احترام خصومه فيميز بين الحق والباطل، والنافع والضارّ، كما كما قال تعالى في كلامه القديم:

١. إ﴿نَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (سورة الدهر: ٣).

٢. ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (سورة البلد: ٨-١٠).

٣. ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة الروم: ٢٨).

فالعاقل هو الذي يقدّم عقله على هواه، فيلتزم الحق ويجتنب الباطل، فإن لم يفعل كان غير مدرك لمغبّة ما يفعله، وإذا تأمّلنا قوله تعالى تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر: ١٤)، نجد أن معنى قوله تعالى "لا يعقلون" أي: اتبعوا أهواءهم فاختلفوا مع أنّهم﴾ يعرفون أن نتيجة الانقسام والاختلاف الضعف والخسارة .

وتأتي فطنة القائد من خلال حسن التصرّف وبعد النظر والاتزان، فحسن التصرّف هو خير وسيلة لتألّف الناس وكسب ودّهم، سواء في ذلك الأخيار والأشرار. وعلى هذا قال تعالى"﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾" (الأنعام: ١٠٨).

وبعد النظر لدى القائد يكون بدراسة المقدّمات وتوقع النتائج، فهو لا ينظر إلى ظواهر الأمور بل إلى أبعادها وآثارها، فعندما رأى بعض المسلمين في بنود صلح الحديبية إجحافا بحقّهم وصرّحوا بذلك إلى رسول الله ﷺ، وجدنا أن الرسول ﷺ أخبرهم بأنّه أعلم بالحكمة في ذلك. نجاح القائد أو فشله يتعلّقان بصدق حدسه وحسن تنبؤاته وعمق النظرة التي يلقيها نحو المستقبل فيتوقّع ما سيصادفه من متاعب وعقبات في مختلف الظروف المحتملة، وذلك للعمل على إيجاد حلول مناسبة. ويعتبر الاتزان وعدم التسرّع من أهمّ مميّزات القائد الفطن، فلا يُستدرج إلى تصريحات ومواقف قد تسجّل عليه فيستخدمها أعدائه ضدّه في المستقبل .

وفي المحصلة، فإن الفطنة والتعقل والكياسة من ألزم المقوّمات الواجب توافرها في القائد، كونها تُعد دعامة أساسيّة بها تستقيم الأمور في جماعته ويأمن في ظلّها المرؤوسون على حقوقهم، وهنا تتحقّق لهم الإيجابيّة فيكونون أكثر قدوةً وفعالية على تحقيق الأهداف. فهي من أهمّ العوامل المؤدّية إلى تماسك أفراد الجماعة والتفافهم حول قائدهم وانقيادهم له، كما أن افتقادها في القائد سيؤدي في المآل إلى انصراف أفراد جماعته عنه.

٤.الكفاءة الإدارية:

يقوم النشاط الإداري للقائد على أساس التفاعل بين القائد وأفراد الجماعة المسؤول عن قيادتها، إضافة إلى ممارسة مختلف عمليّات التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة لمختلف العناصر التي يرأسها داخل المنظمة، ومن ثَم فإنّ نشاط القائد داخل المنظّمة يُنظر إليه إضافة إلى كونه نشاطا إنسانيا، فهو كذلك إداري مهني يتطلّب توافر قدر كبير من العلم والممارسة والخبرة ويمكن أن يتجلّى ذلك في عدّة أمور منها الإيمان بالهدف وتوضيحه لأفراد الجماعة:

لقد كان موقف الرسول ﷺ مع عمّه أبي طالب، وكذلك مع عتبة بن ربيعة مثالا حيا على الثبات على المبدأ والإصرار على بلوغه وتحقيقه، مهما كانت الصعاب والتضحيات. ونجد أن الموقف يتكرّر في عهد الخليفة الراشد الأول أبي بكر رضي الله عنه عند تصميمه على إخماد فتنة الردّة بعد وفاة الرسول ﷺ. كما نجد الموقف يتكرّر في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه في تصميمه على جمع القرآن، وذلك حينما خشي الفتنة من كثرة اختلاف المسلمين في وجوه قراءة القرآن الكريم. القدرة على تحمّل المسؤولية وقت الشدائد والأزمات.

تتّجه الأنظار عادة إلى القيادة ذات الثبات والشجاعة ورباطة الجأش، وتتكاتف الجماعة وتلتف حول قيادتها، لكي يتمّ تجاوز المرحلة بأقلّ الخسائر والتضحيّات. والأمثلة على ذلك كثيرة في صدر الإسلام وفي حياة الرسول ﷺ حيث ثبت في معركة أحد حينما تخلّى الرماة عن مواقعهم طلبا للغنائم، ما دفع خالد بن الوليد رضي الله عنه للالتفاف حول جيش المسلمين، إلا أن الرسول ﷺ رغم كسر رباعيّته وشجّ وجهه ثبت في المعركة والتفّ المسلمون حوله بعد أن كانوا قد لاذوا بالفرار. وكذلك في معركته مع قبيلة هوازن في حنين حيث انهزم المسلمون رغم كثرتهم بسبب إعجابهم بأنفسهم وبكثرتهم، لكنّ ثبات الرسول ﷺ ونفيه إشاعة قتله، والأمر بنداء أهل الشجرة واستجابتهم لذلك النداء قلب الهزيمة إلى نصر بإذن الله تعالى. كما أن موقف الصديق رضي الله عنه وثبته عند سماعه خبر وفاة الرسول ﷺ جعل الناس يلتفون حوله في المسجد، وينصتون له وينصرفون عن عمر رضي الله عنه الذي لم يكن مصدقا بحصول ذلك الحدث الجلل. كما أن موقف عمر رضي الله عنه في عام الرمادة كان موقفا عظيما، فقد ألزم نفسه وأهل بيته بالتقشف والاكتفاء بالحد الأدنى من القوت، وأمر واليه على مصر بحمل الغلال منها إلى الحجاز، للتوسعة على المسلمين وتجاوز المجاعة بأقلّ ضرر ممكن.

٥.التطوير والإصلاح للمنظمة:

إنّ من مهمّات القيادة الرشيدة التحرّك والسير قُدما بالمنظمة وتحسين أوضاعها وأحوال العاملين فيها والمجتمع ككل، فقد شهد المجتمع الإسلامي في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلافة الراشدة قيادة تعمل نهارا وتسهر ليلا، وتتفقّد أحوال الرعيّة دون كلل أو ملل مع عدم الإخلال بأمور العبادات الأخرى، فهذا عمر رضي الله عنه يرى عدم توزيع الأراضي المفتوحة على المسلمين الفاتحين، وإنّما يتركها كمصدر دخل ثابت لبيت المال، كما أنه أمر بإنشاء الدواوين عندما دعت الحاجة إلى ذلك.

٦. القدرة على التخطيط:

يقول الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام"﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾"(يوسف: ٤٧-٤٩).

تدلّ هذه الآيات على أن يوسف عليه السلام قد أعلم – بما أوحى إليه ربُّه – بخطة اقتصاد للسنوات المقبلة، وعليه فإن التخطيط لا ينافي كمال التوكّل حيث إنه من باب الأخذ بالأسباب والحقيقة أن التخطيط يعطي الإنسان صورة أوضح وأشمل للمستقبل، ما يدفعه إلى جعل جميع أعماله تنصبّ لتحقيق الأهداف المرسومة، أمّا إذا لم يكن للقائد خطّة فقد يعمل أعمالا يراها جيّدة لكنّها في الواقع قد ترتدّ سلبا فلا تخدم الهدف النهائي.

وقد عرّف بعض الباحثين التخطيط الإسلامي بأنّه "أسلوب عمل جماعي يأخذ بالأسباب لمواجهة توقّعات مستقبلية، ويعتمد على منهج فكريّ عقَدي يؤمن بالقدر، ويتوكل على الله ويسعى لتحقيق هدف شرعي، هو عبادة الله وتعمير الكون". التخطيط في الإدارة الإسلامية، هو إعمال الفكر في رسم أهداف مشروعة مع تحديد الوسائل المتاحة وفق الموارد المباحة شرعا، وبذل الطاقات في استثمارها لتحقيق الأهداف في أقلّ وقت ممكن مع تعليق النتائج بقضاء الله وقدره. .

الخاتمة:

نجح النبي محمد ﷺ في قيادة الأمّة الإسلاميّة إلى ما فيه خيرها وصلاحها في الدنيا والآخرة بما توفر في شخصه من الصفات القيادية، الشمائل والأخلاق الكريمة التي أهلّته لأن يكون مثالاً ونموذجاً كاملاً في القيادة الحكيمة الناجحة القادرة على السير بالأمّة لتحقيق الأهداف والغايات التي جاءت من أجلها رسالة الإسلام.

يحدث القرآن عن ذلك الهم الذي يحمله الرسول ﷺ بين جنباته، وذلك الحرص الشديد على إيمان قومه، إنّها رئاسة فيها حنان وعطف وعندها علم بواقع الضعف البشري، وقد كان ﷺ يتفقّد أصحابه ويعرف أحوالهم، ويسعى في حوائجهم، إنّها سهولة الخلق ويسر الدين.

المصادروالمراجع:

١. القرآن المجيد

٢. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ٢٠٠١ م.

٣. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٦ م.

٤. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الكبير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦ م.

٥. ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧ م.

٦. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠ م.

٧. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨ م.

٨. ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م.

٩. الأنصاري، عبد الحميد إسماعيل، الشورى وأثرها في الديمقراطية دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦ م.